

النظر إلى العالم من زاوية مختلفة.... زاوية التوحّد!

إليان بو ناصيف*

يصادف شهر نيسان/أبريل شهر التوحّد والمتوحّدين، ومن واجبنا أن نقوم بتوعية الناس في هذا الشهر كما في الأشهر كلّها.

بدايةً، ما هو التوحّد؟

أطلق مفهوم التوحّد ليصف الوحدة المفرطة والانعزاليّة، إذ إنّ المتوحّد يعيش في عالمه الخاصّ ويتفاعل مع نفسه من دون أن يندمج بغيره من الأطفال. وتطوّر مفهوم التوحّد ليرتبط لاحقاً بالمشكلات الحركيّة واللفظيّة. في الواقع، وضع عدد كبير من العلماء تعريفات متعدّدة للتوحّد فاعتبروا أنّه إعاقة في النموّ ترافق الطفل طيلة حياته، وتؤثّر في طريقة كلامه وتواصله مع الغير، فتحدّ من قدرته على خلق الصداقات، والتعبير عن مشاعره، واكتسابه مهارات التعلّم، ومعاناته اضطرابات في الإدراك والوظائف المعرفيّة لا سيّما المفاهيم الزمانيّة والمكانيّة.

بالتالي، يمكن القول إنّ التوحّد، نظرياً، هو عبارة عن إعاقة ما أو خلل معيّن في العلاقات الاجتماعيّة وتأخّر ملحوظ في النموّ اللغويّ تلقّي بتأثيراتها السليبيّة على أداء الطفل ونشاطاته وحركاته، على الرغم من أنّ الأطفال المصابين بالتوحّد هم أشخاص عاديّون من حيث المظهر الخارجيّ، ولا يلفتنا

* مرّية متخصصة برعاية المعوّقين. مدرّسة في مركز "Lily"، الكفاءات، الذي يُعنى بتعليم الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصّة والاهتمام بهم وتأهيلهم.

فيهم سوى حركاتهم ونطقهم. تشير التقديرات إلى أنّ طفلاً من كلّ مئة طفل في العالم يصاب بالتَّوَحُّد، والأسباب متنوّعة، منها الفيزيولوجيّة، والوراثيّة، والبيوكيميائيّة، والاجتماعيّة.

ما هي أعراض التوحّد؟

تظهر علامات التوحّد في الطفولة الباكرة، وهي في غاية الوضوح. فالمتوحّد علاقته الاجتماعيّة ضعيفة: مع أمّه كما مع أبيه وأشقائه، مع أقربائه وأصدقائه... لا يهتمّ لوجود الآخرين، لا يفرح لرؤيتهم، لا ينظر إليهم حتّى عندما يكلمونه، لا يحبّ أن يشاركه ألعابه، ولا أن يختلط بأطفال آخرين. من ناحية ثانية، نلاحظ أنّ المتوحّد يعاني ضعفاً في التواصل اللغويّ: فهو يتأخّر في الكلام، كما قد يستعمل كلمات غريبة من تأليفه، ويصعب عليه استخدام الضمائر بشكل صحيح، بحيث يستخدم اسمه للتعبير عن طلبه: "(ربيع) يريد أن يأكل" بدلاً من "أنا أريد أن أكل". من العلامات الرئيسيّة أيضاً، التكرار والمحدوديّة: ألعابه نفسها على الدوام، لا تجديد في حياته، يحبّ الروتين ويرفض التغيير، يتعلّق بالأشياء من حوله ويأخذها معه أينما يذهب، وغالباً ما يقوم بحركات يدويّة متكرّرة.

هل من علاجات؟

ما من علاج شافٍ للتوحّد، ولكن يمكن الحدّ من تفاقمه والتخفيف من أعراضه، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ لكلّ حالة علاجها الخاصّ بها والذي يتناسب مع وضع الطفل. باختصار، يتضمّن العلاج مزيجاً من المعالجة السلوكيّة التي تساهم في اكتساب المهارات وتعلّمها والحدّ من السلوك الغريب، وتقويم النطق، والمعالجة الطبيعيّة أو الفيزيائيّة، وتناول بعض الأدوية، والتغيير في النظام الغذائيّ.

تجدر الإشارة إلى أنّ الوقاية خير من أيّ علاج، وأنّ التدخّل المبكّر مهمّ جدّاً في السنوات الثلاث الأولى. ولتحقيق ذلك، من الضروريّ تشجيع الأهل على إخضاع أولادهم لنشاطات تدريبيّة-تعليميّة خاصّة بهم وبرامج تعليميّة مكثّفة،

وتنظيم البيئة المحيطة بهم، وتفعيل جلسات التخاطب بينهم وبين طفلهم، وتعزيز مهارة الإصغاء لديهم.

ولكن!

لماذا ننطلق دائماً من الجانب السلبي الذي يحيط بالأمر؟ لقد حان الوقت لكي نغيّر نظرتنا ونتطلّع إلى "عالم التوحّد الصغير" من منظار مختلف تماماً.

عندما نقول "توحّد"، يخطر في بالنا مباشرةً عالم المرض والاضطرابات على صعيد التفاعلات الاجتماعية، والتواصل، والسلوك. "الانعزالية"، "الرتابة"، "التأخر"... كلّها مصطلحات تحضر في ذهننا ما إن نفكّر في التوحّد.

ولكن، من ذا الذي قال إنّ التوحّد يتوقّف عند هذا الحدّ من الأسى والانعزال؟ في الواقع، للأطفال المصابين بالتوحّد قدرة على إظهار مهارات استثنائية جداً، في مختلف المجالات والميادين. لذلك، من الضروري أن نسلط الضوء لا على نقاط الضعف وحسب، بل على نقاط القوة التي يتحلّى بها الطفل المتوحّد والتي تشكّل بدورها وسيلةً فعّالةً لتعزيز مكان من ضعفه.

لقد أظهرت الدراسات أنّ عدداً لا بأس به من المتوحّدين يتّسمون بكفاءات ممتازة تشمل معظم المجالات كالرسم، والموسيقى، والرياضيات، والبناء... إضافةً إلى أنّ قسماً منهم تنمو لديه بعض المهارات المبكرة، حتّى إنّهم قد يتجاوزون في مكّاتهم الأطفال في مثل سنّهم.

من قال إنّ المتوحّدين لا يمكنهم أن يكونوا فنّانين؟ هؤلاء الأطفال بارعون في اختصاصاتهم الصغيرة (هل تذكرون الشابّ المتوحّد ندير عمّار الذي شارك في برنامج المواهب "أرابز غوت تالنت" العام الماضي والذي استطاع بحركاته البهلوانية وحركاته الرشيقة وتركيزه العالي أن يبهر الجمهور ولجنة التحكيم ويصل إلى النهائيات؟ طبعاً تذكرون! وهو خير دليل على مقدرة كلّ طفل أو شابّ متوحّد في التميّز والإبداع). ولكن، لسوء الحظّ، يبقى المتوحّد ضحيةً وأسيراً لأحكام الناس المسبقة الذين يدفعون الأطفال إلى الانغماس أكثر فأكثر في الصعوبات والانغلاق على أنفسهم.

هذا هو الوقت الأنسب لكي يغيّر المجتمع نظرتة السوداوية والظالمة تجاه المتوحد. والجدير بالذكر أنّ كلّ تغيير يبدأ من كلّ شخص منّا. لا بدّ لنا من أن ننظر بعيون المتوحد، وفي هذه اللحظة وحسب، سنتمكّن من الانفتاح على عالمهم واكتشاف روعة قلوبهم ومهاراتهم وأعمالهم. فلنتوحد للقضاء على التوحد!